المجلس (٤)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، حمدًا لربنا وثناءً عليه وتمجيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إفرادًا وإقرارًا وتوحيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اتباعًا له وتجريدًا، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اتبعهم بإحسانٍ وَسَلَّمَ تسليمًا مزيدًا.

أَمَّا بَعْدُ؛

معاشرَ الفُضلاء، يامن اجتمعتم في مسجدِ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حلقةٍ من حِلق العلم ترجونَ فضلًا من ربكم ونورًا تستنيرونَ به في دربكم، أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يُحققَ لكم الأماني، وأن يدفعَ عكم ما يضركم، وأن يرزقكم ما يسركم.

معاشرَ الفُضلاء، نواصلُ مجالسنا في فجرِ يوم السبت، في مسجدِ رسولِنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شرحِ كتابِ كشف الشُبهات لشيخ الإسلام الإمام المُجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائرَ عُلماء المسلمين.

هذا الكتابُ الصغيرُ في حجمه، العظيمُ في فوائدِهِ ومضمونه، هذا الكِتابُ الذي ما قرأهُ موحدٌ إلا ثبتَ بفضل اللهِ على توحيده، واندفعت عنهُ شُبهاتُ المُبطلين، ولم يستمع لدعوات الجاهلين، وأدركَ عِظمَ نعمة اللهِ عليه حيثُ أنارَ بصيرته، فعلمَ أعظمَ معلوم وهو شهادةُ (أن لا إله إلا الله) وعمِلَ بذلك، وهداهُ اللهُ واجتباه، وما قرأهُ ناكصٌ عن التوحيد، واقعٌ في الشرك بتجردٍ وإنصاف، إلا اندفعت عنهُ الشُبهات، واستنارت بصيرته، وعرفَ الحق.

وكُلُّ جُملةٍ سطرها الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكتاب، فيها أنوارٌ من أنوارِ الحق، وتحتها كنوزٌ من كنوزِ العلم، ويحتملُ أن يكونَ في مجالسَ ومجالس، وفي كراريس، لكننا نسيرُ في شرحنا لهذا

الكتاب بما يُحقِّقُ مقصودَ الشيخِ منه، من تثبيت أهل التوحيد، وإزاله الشُبهةِ عن الزائغينَ عنه، وإقامةِ الحُجةِ عليهم.

وكنا قد ذكرنا أن هذا الكتابَ ينقسمُ إلى قسمين:

القسمُ الأول: في مقدماتٍ ومُمهدات، وقد ضمنها الشيخُ أصولًا، من عرفها اندفعت عنه الشُبهات وبانَ له أن شُبهاتِ أهلِ الشرك أوهى من بيتِ العنكبوت، لا وزنَ لها ولا قيمة.

وقد اجتهدنا في ذِكرِ هذه الأصول وجعلناها أصولًا ثمانية مأخوذةً من كلامِ الشيخِ في هذا القسم.

وأما القسمُ الثاني: فهو الردُ على شُبهاتِ المُبطلين في بابِ التوحيدِ وبابِ معرفة ضده، بطريق الإجمالِ وطريق التفصيل، وهذه طريقةُ القُرآن في ردِ كلامِ أهلِ الباطل.

وكنا قد شرعنا في القسم الأول، وقرأنا بعض المقدمات وذكرنا بعض الأصولِ المُمهدات من كلامِ الشيخِ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ونُكملُ قراءةَ ما سطرهُ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا القسم، ونُعلقُ عليهِ بما تيسر، فيتفضل الابن نورُ الدين وفقهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ المُجدد شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وجزاهُ عنا خيرا في رسالتهِ كشف الشُبهات: وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

(الشرح)

نعم، هذا هو الأصلُ الخامس من الأصولِ المضمنةِ في هذه المقدمةِ العظيمةِ الشريفة، التي قدمَ بها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ **وهو أن الإقرارَ بتوحيد الربوبية،** لا يُدخلُ في الإسلام، ولا يعصمُ الأنفُسَ والأموال، نعم هو حقٌ لأن يدخلَ المؤمنُ به المُقرُ به في الإسلام، ولأن تُعصمَ نفسهُ، ولأن يُعصمَ ماله.

وقد تقدمَ معنا أن كُفارَ قُريش كانوا يُقرونَ بتوحيد الربوبية، ويشهدونَ أن اللهَ هو الخالق الرزاق، المُدبر، المُحيي، المُميت، وأنَّ له مُلكَ السماواتِ والأرض، ومع ذلك، لم يقبل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مهم ذلكَ للدخولِ في الإسلام، وللخروجِ من الشرك، ودعاهم إلى التوحيد، وبقيَّ ينهاهم عن الشرك، مع إقرارِهم ذلك، وعاداهم من أجلِ الشِرك، بل وقاتلهم من أجل الشِّرْك، لماذا؟ قال الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلَائِكَةَ وَالأَنْبِيَاءَ وَالأَوْلِيَاءَ - يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ - هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

(الشرح)

أي أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما فعلَ ذلك من مُعاداةِ قومِهِ المشركين ومُنابذتهم وقِتالِهم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية، لأنهم يصرفونَ العبادةَ إلى غيرِ الله، بحُجةِ أن غيرَ الله يُقربهم إلى الله، فمنهم مَنْ يعبدُ الملائكة، ويتقربُ إلى الملائكةِ بزعمه بُحجةِ أن الملائكةَ أقربُ منهُ إلى الله، وأنهم شُفعاء له عند الله.

ومنهم مَنْ يعبدُ الأنبياء وهم في قبورهم، أي يصرفُ لهم العبادة ليُقربوهُ إلى اللهِ زُلفى بزعمه.

وكذا، منهم مَنْ يعبدُ الصالحين بحُجةِ أنهم أقربُ إلى الله وأنهم يُقربونهُ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم شُفعاؤهُ عند الله في قضاءِ حاجاته.

هذا هو السببُ الذي جعلهم مُشركين، وعاداهم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجله، واستحلَ دماءهم وأموالهم فهم كانوا يؤمنونَ بالله من جهةِ ربوبيته، وقد يؤمنونَ بهِ من جهةِ العبادةِ أحيانًا، فقد كان من شأنِهم وحالِهم أنه إذا اشتدَ بهم الكرب وكانوا في حالةِ اضطرار يوحدونَ الله ويدعونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنهم يُشركونَ باللهِ في عبادتهِ في حالِ الرخاء، فما نفعهم ذلك، وما أخرجهم من حدِ الشرك، وما جعلهم مُسلمين، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، فهم عندهم إيمان على الوجه الذي ذكرناه، لكنَ هذا لم يُخرجهم من الشرك، بل كانوا مُشركينَ؛ لأنهم كانوا يصرفونَ العبادة لغير اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ولاسيما في حالِ الرخاء.

قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، أي: ألا للهِ العبادةُ الخالصة، لا شريكَ لأحدٍ معهُ فيها، لأن كُلَّ ما

دونَ الله، وَمَنْ دونَ الله مخلوقٌ وعبدٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ومملوكٌ لله، والمملوكُ يَعبدُ ولا يُعبد، المملوك حقهُ أن يَعبد لا أن يُعبد.

والذين اتخذوا من دون اللهِ أولياء يعبدونهم، كيفَ كانوا يعبدونهم؟ كانوا يعبدونهم بصرفِ أنواعٍ من العبادةِ إليهم، فيذبحونَ لهم، وينذرونَ لهم، ويستغيثونَ بهم، وحُجتُهم أنهم يقولونَ لأولئكَ المعبودين: ما نعبدكم ولا نتقربُ إليكم إلا لتكونوا شُفعاءُ لنا عند الله في قضاءِ حوائجنا فأنتم أقربُ منا إلى الله.

أو أنهم يقولونَ ذلكَ لمن يسألُهم، إنهم ما يعبدونهم إلا لكونِهم شُفعاء لهم عند اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كذا فسرَ ابنُ جرير رَحِمَهُ اللهُ هذه الآية ونقلَ هذا التفسيرَ عن السلف الصالح رضوانُ اللهِ عليهم.

وهذا يكشفُ لكَ حقيقة التوحيد الذي دعا إليه الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحقيقةَ ضده وهو الشرك الذي نهى عنهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومهُ وغيرهم من أجله، ولذا قال الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ. وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(الشرح)

أي أنكَ تتيقنُ من أن: (لا إله إلا الله) التي لابدَ منها في الدخولِ إلى الإسلام، والخروجِ من الشرك، معناها: لا معبودَ حقٌ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّ كُلَّ عبادةٍ لغيرهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شركٌ حتى لو قصدَ صاحبُها منها أن يصلَ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإن هذه الحُجةَ وهذا المقصود لا يجعلُ ذلكَ الأمرَ حسنا، ولا يُخرجهُ من قُبحِ الشركِ وظُلماته، بل يبقى ذلكَ شركًا قبيحًا وظلمًا عظيما.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ «الإِلَهَ» عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ؛ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا.

لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ «الإِلَهَ» هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ - كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ -.

وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ «الإِلَهِ»: مَا يَعْنِي المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا هذا بِلَفْظِ «السَّيِّدِ».

(الشرح)

نعم، هذا هو الأصلُ السادس من الأصولِ المضمنةِ في هذه المُقدمةِ الشريفة العظيمةِ النفع، التي قدمها الشيخ ومهدَ بها لهدمِ شُبهات المشركينَ المُبطلين من المتأخرين، وهو: **بيانُ معنى (لا إلهَ إلا الله) وكشفُ انحرافِ المُنحرفينَ في تفسيرِها**، وأن كُفارَ قُريش أعلمُ مِنهم بمعنى (لا إله إلا الله) فإن كُفارَ قُريش ما كانوا يقولون: معنى (لا إله إلا الله) لا خالقَ ولا رازقَ ولا مُدبرَ إلا الله.

فإنهم لو كانوا يفهمونَ أن هذا معناها لأسلموا، وسلموا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم كانوا إذا سُئلوا عن ذلك وحدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذلك، فكانوا يُقرونَ بذلك، لكنهم كانوا يعلمونَ علم اليقين أن الإلهَ هو الذي يُعبدُ ويُقصد في جلبِ الخير ودفعِ الضُر، وتُطلبُ منهُ الحاجات، ويسمونَ مَنْ يُقصدُ لذلكَ إلها، ويرونَ أنهم آلهةٌ مُتعددة، ويُنكرونَ أن يكونَ الإلهُ واحدًا يُسألُ في جميع الحاجات، ويُجيبُ جميعَ المُحتاجين.

وإذا نظرتَ يا عبد الله إلى حال المتأخرينَ الواقعينَ في الشرك، تجدُ أنهُ يُطابقُ حالَ أولئك المُشركينَ في هذا، بل هو أظلمُ منه، فأولئك الكُفار كانوا يقصدونَ غيرَ الله في حالِ الرخاء، أما في حالِ الشِدة فإنهم ينسونَ ما يُشركون ويوحدونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في ذلك.

أما هؤلاءِ المتأخرون فيقصدونَ غيرَ اللهِ في كُلِّ حال، بل تعظمُ رغبتُهم في غير الله في حال الشدة، حتى يقولَ قائلهم: (إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأصحاب القبور).

وأولئك الكُفار يُسمونَ مَنْ يقصدونهُ بالعبادة إلهًا؛ لأنهم يعرفونَ معناه الحقيقي، وهؤلاء المشركونَ المتأخرون يُسمونَ مَنْ يقصدونَ الأسياد أو السادة أو السيد، أو أصحاب السِر، يقولون: ذاك سِرهُ باتع، ذاك صاحبُ سِر، ونحوِ ذلك.

ومع شِركِهم فيهم بالألوهية أو في الألوهية فإنهم أيضًا يُشركونَ بهم في الربوبية، فيعتقدونَ أنهم يُدبرونَ الكونَ، وأنهم يتصرفونَ في الكون، وأنهم يخلقون، وأنهم يرزقون، وأنهم يُحيونَ الموتَ حتى قال قائلٌ منهم من المتأخرين: إن الوليَّ يستطيعُ أن يخلقَ الولدَ في رحمِ أُمه، ولا يمنعهُ من ذلك إلا اختلاطُ الأنساب. -نعوذُ باللهِ من هذا الانتكاس العظيم، الذي ما وصلَ إليهِ حتى كُفار قُريش-.

فهؤلاء المتأخرون مع شِركِهم في الألوهية، يُشركونَ في الربوبية، - نعوذُ باللهِ من سوءِ الحال-.

(المتن)

فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَالمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ: مَعْنَاهَا؛ لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالتَّعَلُّقِ، وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]».

(الشرح)

نعم، أي أن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعثَ نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليُبطلَ اعتقادَ المشركين في الآلهة، وأن الآلهة مُتعددة وليست إلهًا واحدا، وأنها يُتقربُ إليها لتكونَ شافعةً لأصحابِها عند الله؛ لأنهم أقربُ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبعثهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعوهم لجعل الإلهِ المعبود واحدًا لا شريكَ له، بأمرهم بأن يقولوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مُدركينَ معناها، مُعتقدينَ لها، عاملينَ بمقتضاها.

وكانت دعوةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأولئك المشركين: «**قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا**»، والمرادُ معناها: أنه لا معبودَ بحقٍ إلا الله، وليسَ مجردَ نُطقِها باللسان.

وأدركَ أولئك المشركونَ الظلمة الجُهال ذلك، وأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى توحيد المعبود، وتعليق القلوبِ بهِ، والكُفرِ بما يُعبدُ من دونه من جهةِ كونهِ معبودًا، والبراءةِ من الشركِ والمعبوداتِ من دونِ الله، من جهةِ كونِهم معبودات.

ولذلك كان جوابُ المشركين لأمرِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم: بأن يقولوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كان جوابهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص: ٥]، أي جعلَ ما يُعبدُ ويُقصدُ في

الحاجاتِ واحدًا يقصدهُ الجميعُ ويسمعُ كلامَ الجميعِ ويُجيبُ الجميعَ بلا وساطةِ آلهةٍ أُخرى، إن هذا هذا لشيءٌ في غاية العجب.

ففهموا معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وأنكروا ذلك، وتعجبوا منه، لجهلِهم، فإنهم ما قدروا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حقَ قدره.

(المتن)

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَ جُهَّالُ الكُفَّارِ!

بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي.

وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: «لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللهُ».

فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(الشرح)

واللهِ إنكَ لتعجب غاية العجب ممن يدعي الإسلام، ويقرأُ القُرآن، ومع ذلك هو أبعدُ الناسِ عن معرفةِ معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، بل كُفارُ قريش أعلمُ بمعنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) منه، فبعضُ المتأخرين ممن وقعوا في الشرك وينتسبونَ إلى الإسلام، يُرددونَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لفظا ولا يُدركونَ معناها، ولا يعملونَ بمقتضاها، بل رأينا أُناسًا يجتمعونَ عند قبرِ مَنْ يسمونهُ السيد، أو من يسمونه الولي، ويرددونَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بطريقةٍ مُبتدعةٍ مُخترعة، ثم إذا فرغوا من ذلك، وضعوا أيديهم على القبر، وقالوا: المدد يا سيدنا فلان.

سبحان الله! يقولون: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) في نفس الموضع، ثم يُشركونَ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! فهؤلاءِ لا يعرفونَ من (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إلا لفظها، ولا يعرفونَ معناها الذي أدركهُ كُفارُ قُريش.

بعضهم يُفسرُ معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بأنه: لا خالقَ ولا رازقَ ولا موجدَ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا حقٌ، لكنهُ ليس معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وإنما هو داخلٌ في معنى (لا إله إلا الله).

وأما معنى: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فهو متعلقٌ بالعبادة؛ لأن الإلهَ بإجماع أهل اللغة هو المعبود الذي يُعبد.

وهم مع تفسيرِهم لـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، هذا التفسيرَ المنحرف ونحوهُ، يعتقدونَ أن مَنْ اعتقدَ هذا الاعتقاد فهو موحد وهو مُسلم، ولو صرفَ العبادةَ لغير الله.

فلو قُلتَ لهم: إن هذا شِرك، وإن هذا الذي يفعلُ هذا مُشرك، قالوا، وأنكروا عليك: كيفَ تقولُ ذلك، وهو يقولُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وهو يعتقدُ بوجود الله، وهو يُصلي وهو يصوم وهو يتصدق ويُزكي، لأنهم ما عرفوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وبعضهم يقول: معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): لا معبودَ إلا الله. وهذا خطأٌ وانحرافٌ في معناها، فإنه إما أنَ قائلَ ذلك يعتقد بوحدة الوجود، وأن الآلهةَ كُلها هي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا أعظمُ من ضلالِ المُشركين.

وإما أنه لم يفهم المعنى؛ فإن هذا المعنى كاذب يُخالفُ الواقع، فإن هناكَ آلهة غير الله تُعبد، ولكن بظلم وطُغيان وعدوان وليسَ بحق، فمعناها: لا معبودَ بحقٍ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا عَرَفْتَ مَا ذكرتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ.

(الشرح)

يعني، إذا عرفتَ كُلَّ ما تقدمَ ذِكرهُ معرفةَ قلب وعلمتَ ذلكَ يقينًا؛ لأن المعرفةَ النافعة هي معرفةُ القلبِ، علمُ القلبِ وتسليمهُ.

أما المعرفة التي تكون باللسان أو بالظاهر دونَ أن تُخالطَ القلب؛ فإنها لا تنفعُ صاحبها، فالنفعُ بالعلم إنما هو إذا علمَ القلبُ واستسلمَ لهذا العلم.

فإذا عرفتَ يا عبد الله ما ذكرَ الشيخ وأنتَ عارفٌ إن شاء الله معرفةَ قلب، أيقنتَ وسلمتَ بكُلِّ ما تقدمَ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

(الشرح)

هذه المقدمة الثانية: إذا عرفتَ حقيقة الشِّرك الذي نهىٰ عنهُ الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، طيب ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ مصدر، والمصدر عندَ العلماء نكرة، والقاعدة: أن النكرةَ في سياقِ النفيِّ تعم، فيصير المعنى على هذه القاعدة: إن اللهَ لا يغفرُ أيَّ شِركٍ.

والمعلومُ أن الشِّركَ نوعان:

- شركٌ أكبر؛ يُخرجُ من الإسلام.

- وشركٌ أصغر؛ لا يُخرجُ من الإسلام، ولكنهُ يُنقصُ الإيمان، وهو من أقبح المعاصي، ويكفيهِ قُبحًا أنه سُميَ شِركًا.

لكن القضيةَ هل الشرك الأصغر يدخلُ في قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، إذا أعملنا القاعدة وهي أن النكرةَ في سياقِ النفيِّ تعم؟ نقولُ: نعم، فهذا يعمُ كُلَّ شِركٍ غيرَ أن المُشركَ شركًا أكبر يدخلُ النارَ ويُخلدُ فيها.

وأما الموافي بشركٍ أصغر فإنه يدخلُ النارَ ولا يُخلدُ فيها.

وقال بهذا كثيرٌ من العلماء: أن الشركَ الذي لا يُغفر عام، يشملُ الشركَ الأكبر والشركَ الأصغر.

وقال بعضُ العلماء: بل هناكَ قاعدةٌ أُخرى، وهي قاعدةُ العامِ الذي أُريدَ به الخصوص، ليسَ كُلُّ عامٍ أُريدَ به العموم، بل هناكَ عامٌ يُرادُ به الخصوص، أي يُرادُ به بعضُ أفرادهِ، ولا يُرادُ به كُلُّ أفرادهِ. وهذه قاعدة مُسلمة لُغةً وشرعًا، فيقولون: هذه الآية من بابِ هذه القاعدة، من باب العامِ في اللفظِ الذي أُريدَ به الخصوص.

➢ فالمرادُ بالشرك الذي لا يغفرهُ الله هو الشركُ الأكبر.

➢ أما الشركُ الأصغر فمع قُبحهِ فهو تحتَ مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إن شاءَ لم يغفر لصاحبه وأخذهُ به وإن شاءَ غفرَ له، وهذا أقرب واللهُ أعلم.

لكن يكفي المؤمن حذرًا من الشِركِ كُله أنه سُميَّ شركًان فلا يتساهلُ في شِركٍ أصغر، فضلًا عن الشركِ الأكبر، لكن الذي يظهر واللهُ أعلم: أن الأرجح أن الشركَ الأصغر داخلٌ تحتَ المشيئة.

فإذا عرفتَ حقيقة الشرك الذي نهى عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلَ أهلهُ؛ فهذه المقدمة الثانية.

(المتن)

وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمُ - الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ -.

(الشرح)

نعم، هذه المقدمة الثالثة: إذا عرفتَ دين الله الذي هو الإسلامُ العام، الذي بُعِثَ به جميعُ الرُسل، ولا يكونُ الإنسانُ مُسلمًا إلا إذا أتىٰ به من زمنِ آدمَ عليه السلام إلىٰ آخرِ مَنْ يكونُ في الدنيا.

هذا الإسلام العام هو الاستسلامُ للهِ بالتوحيد، والخلوصُ من الشرك، والبراءة من أهلِهِ، هذا الإسلام جاءَ به جميع الرُسُل، ولا يكونُ الإنسانُ مُسلمًا خارجًا من الشركِ إلا إذا أتى به، بمعنى: لم يوجد مُسلمٌ على الأرضِ قط، إلا وهو موحدٌ بريءٌ من الشركِ وأهله، فإن لم يكن كذلك فإنه لم يكن مُسلما.

ثم بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انضمَ إلى ذلك أن يشهدَ أن مُحمدًا رسولُ الله، وأن يُقرَ بشريعتِهِ ويقبلها؛ فهذا الإسلام الذي يقبلهُ الله، ولا يقبلُ دينًا سواه بعد بعثة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◄يعني يا إخوة: لو جاءنا شخص وقال: أنا أعتقد أنه لا معبودَ حقٌ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكني لا أشهدُ أن محمدًا رسولُ الله.

نقولُ له: لم تُسلم.

◄لو جاءنا شخصٌ وقال: أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأعتقدُ أنه لا معبودَ حقٌ إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله، لكن للعرب.

نقولُ له: لم تُسلم.

ولو جاءنا شخصٌ وقال: أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأُقرُ وأعمل بأنه لا معبودَ حقٌ إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله، لكن لا أُقرُ بشريعته، والناس أحرار.

نقولُ له: لم تُسلم، ولا يقبلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذلكَ منك.

قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، إن عرفتَ هذا معرفةً يقينية فقد حققتَ المُقدمةَ الثالثة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذَا.

(الشرح)

نعم، وعرفتَ. هذه المقدمة الرابعة: عرفتَ ما عليهِ أغلبُ الناسِ في زماننا من الجهل، بمعنىٰ: لا إلهَ إلا الله، فهي يقولونها ولا يعرفونَ معناها. وما نزلت مُصيبةٌ بإنسان أعظمَ من جهلهِ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، والله ما نزلت مُصيبةٌ بإنسان أعظمَ من جهلهِ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فإذا عرفتَ جهلَ كثيرٍ من الناس بمعنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وبالتالي عرفتَ عدم عملهم بالتوحيد الذي جاءَ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعرفتَ وقوعهم في الشرك الذي نهى عنهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اجتمعت لكَ هذه المقدماتُ الأربع، كانت النتيجة.

(المتن)

أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: الفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

(الشرح)

نعم، إذا حصلت لك هذه المقدمات الأربع، وعلمتها، فقد أنعمَ اللهُ عليكَ بالتوحيد، بأعظمِ نعمةٍ على العباد، واصطفاكَ واجتباك، حيثُ هداكَ إلى معرفةِ معنى: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وإلى اعتقادِ معناها، وإلى العملِ بمقتضاها.

واللهِ لولا الله لكنتَ من أولئك الذين لا يعرفونَ معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، والذين يعبدونَ غيرَ الله ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف: ١٠٤]، لكن الله رحمك، ولكن الله تفضلَ عليك، فأنعمَ عليكَ بهذه النعمة، فتفرحُ بفضل الله، وتفرحُ برحمة اللهِ لك حيثُ هداكَ واجتباكَ، وأنارَ بصيرتك، ويسرَ لكَ التوحيد، ونجاكَ من الشرك، كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس: ٥٨]، أي قُل يا محمد: بفضل اللهِ عليكم أن دعاكم للإسلام، وهداكم إليه، ونجاكم من الشرك، وأنزلَ إليكم القُرآنَ فرحكم بذلك، وبيّنَ لكم بالسُنة، فرحكم بذلك، فلتفرحوا بذلك.

فهو خيرٌ مما يجمعهُ الناس، من كنوز الدنيا ومن الذهب، ومن الفضة ومن الأموال، والله إن الفقيرَ الموحد خيرٌ من أغنى أهل الأرضِ من أهلِ الشِّرك، واللهِ لو عاش الإنسانُ أفقرَ الناس لكن على التوحيد، لكانَ خيرًا ممن عاشَ أرفه الناسِ على الأرض لكن على الشرك، فالمؤمنُ يفرحُ بتوحيده، ويسألُ اللهَ رزقه، ولا يغترُ بما أوتيَّ أهلُ الباطلُ وأهلُ الشركِ من الدنيا، فالتوحيدُ خيرٌ مما يجمعهُ أهلُ الأرضِ كُلِهم أو كُلُهم، فهو خيرٌ مما يجمعون.

وهذا يجعلُ المؤمن مُعتزًا بتوحيده، ثابتًا على توحيده، لا يُزعزعهُ عن هذا التوحيدِ قلةُ يدٍ ولا شُبهةُ مُبطلٍ، وهذا يدعو العبد إلى أن يدعوَ إلى التوحيد، وأن يحرصَ على إدخال الناسِ التوحيد؛ لأن هدايةَ إنسانٍ واحد إلى التوحيد خيرٌ من كنوز الدنيا، وهذا هو الفرحُ المحمود، الفرحُ بفضل الله، الفرحُ بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الفرحُ الذي تطمئنُ به القلوب، ويثبتُ به المؤمن على دين الله، ويعظمُ به المؤمن نشاطًا في عبادة الله، ويوقنُ به المؤمن أن هذا الفضلَ من الله، فيزدادُ تعظيمهُ لله.

وما أعظمها من فائدة أن تكونَ في الدنيا كالجبال الراسيات على التوحيدِ والدين، وأن تكونَ موقنًا أن ما آتاكَ الله وما أنعمَ اللهُ به عليكَ من التوحيد، خيرٌ لكَ من كنوز الدنيا، وتوقن يا عبد الله أن هذا بفضل الله ورحمته.

انظر يا أخي، بعضُ أقربائكَ ما عرفوا هذا التوحيد، يُشركونَ بالله، ويدعونَ غيرَ الله، ويذبحونَ لأصحاب القبور، ويطوفونَ على القبور، لسانُكَ لسانُهم، وبيئتُكَ بيئتُهم، لكنَ اللهَ اجتباك، وهداك، وعلمك، ورزقكَ التوحيد، واللهِ إنه لأعظمُ الفضل، وأعظمُ الرحمة من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذه الفائدة الأولىٰ.

وأما الفائدةُ الثانية نقفُ عند رأسِها؛ لأن في أولِها مسألةً شائكةً، يفرُ منها كثيرٌ من الناس، ويمرونَ عليها مرورًا عابرًا، **ألا وهي مسألةُ العُذرِ بالجهل،** وتحتاجُ وقتًا، ونحنُ إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سنعرضُها عرضًا علميًا، ونُبيّنُ ما عند العلماءِ فيها.

ولذلك نؤخرُ الكلامَ عن الفائدةِ الثانية إلى أول المجلس القادم في الأسبوعِ القادمِ إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فقهنا اللهُ في دينه وجعلنا ممن يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنه.

الطالب: جزاكم اللهُ خيرًا، وباركَ اللهُ فيكم، نفعنا اللهُ بما سمعنا.

هذا يقول: عندنا في بعض القُرى بعض المناطق تُسمى بسيدي فُلان، نسبة إلى صاحب ضريح، فهل يجوز لنا إذا أردنا أن نُعرف بهذه القرية التلفظ بـ سيدي فلان؟

الشيخ: يعني هناكَ ضريحٌ في القرية، ويُسمونه كما قال الشيخ، بالسيد، سيدي فلان أو سيدنا فلان، أو مولانا فلان، وهذا الاسمُ يعني أنه مُدبرٌ متصرف، يُعطي ويمنع، ولذلك يقصدونهُ في الحاجات، من أرادَ ولدًا ذهبَ إليه، من أرادَ مالًا ذهبَ إليه -نعوذُ بالله من الشرك-.

فيقول الأخ: هل إذا عرفنا بالقرية أن لنا أن نقول: التي فيها قبر سيدي فلان؟

والجواب: لا، وإنما يقول القرية الفلانية التي فيها القبر لفلان، والذي يعبدهُ الجُهال من دون الله مثلًا.

أما أن يقول له القبر قبر سيدي فلان من باب التعريف فلا. يجب هجرُ الأسماء المُخالفة للشرع، والألفاظ المُخالفة للشرع، ولا يجوزُ استعمالها. ولو ظننتَ أن هذا السائلَ يسألُ عن القريةِ من أجلِ القبرِ، فلا يجوزُ لكَ أن تدلهُ عليها، ويحرمُ عليك أن تُخبرهُ بالطريقِ إليها.

الطالب: أحسنَ اللهُ إليكم، هذا يقول: أن عندهُ مبلغًا من المال بلغَ نصابًا، وقبلَ أن يبلغَ عليه الحول عينَ قطعة أرض، وقال لمالكها سيشتريها منه، لكنه اشتراها بعد أن بلغَ المال الحول وكان المال عنده ولم يُخرج عليه زكاة.

الشيخ: ما دامَ أن الحولَ قد حالَ على المالِ وهو نصاب؛ فإنه تجبُ فيه الزكاة، ولو كان صاحبُ المالِ أرادَ شراءَ أرضٍ، بل فاوضَ عليها قبلَ أن يحولَ الحول، واتفقَ مع صاحبها، غيرَ أن المالَ بقيَ عنده، فإنهُ يجبُ عليهِ أن يُزكيَ هذا المال، نعم، لو دفعَ جُزءًا هذا المال قبلَ حولان الحول ولو بيوم، حتى نقصَ المال عن النصاب فإنهُ لا زكاةَ فيه، أما إن بقيَ المالُ بالغًا نصابًا حتى حالَ عليه الحول، فإن هذا لا يُسقطُ الزكاةَ عنهُ.

بل الراجحُ أيضًا من أقوالِ أهل العلم أنه مَنْ كان عليهِ دينٌ لو دفعهُ لنقصَ المالُ عن النصابِ، لكن حالَ الحولُ ولازال المالُ نصابًا أو زائدًا عن النصاب، ولم يدفع الدينَ الذي عليه؛ فإنه يجبُ أن يُزكيَ هذا المال.

ألا ترى يا عبد الله أنه يُمكنُ له أن يُتاجرَ فيه؟ ألا ترى يا عبد الله أنه يُمكنَ له أن يشتريَ به كُله شيئًا ولا يدفعُ الدين؟ إذًا الجهةُ منفكة، والواجبُ التزكية.

لكن لو أنه قبلَ حولان الحول ولو بأسبوع، ولو بيوم دفعَ الدينَ الذي عليه، فنقصَ المالُ عن النصابِ؛ فإنه لا يُزكيه، ولو بقيَ المال نصابًا فإن الذي دفعهُ في الدين قبلَ أن يحولَ الحول لا يُزكى.

لعلَ في هذا كفاية، ونلتقي إن شاء الله عصرَ اليوم في كُرسينا المعتاد في شرح دليل الطالب.

هٰذَا واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.